صاحب الجلالة يترأس افتتاح أشغال لجنة القدس

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

أصحاب السعادة الوزراء

أصحاب المعالي السفراء

صديقنا الحميم معالي الأمين العام السيد الحبيب الشطي

حضرات السادة

ها هي لجنتنا تجتمع مرة أخرى، وأريد كما كررته وقلته مرارا أن يسود أعمالنا جو الفريق لا جو اللجنة، مرارا ذكرت وقلت ان الشخصيات التي تمثل الدول العربية والاسلامية في لجنة القدس اعتبرهم قبل كل شيء أصدقاء يعملون معي وأعمل معهم لاعلاء كلمة الحق ودحض الباطل كيفما كان طول الطريق وكيفما كانت نوعية الصعاب التي سنجدها في سبيلنا.

إن القدس الشريف ومصيره وكرامة من يدافعون عنه، كل هذا أصبح في الأسابيع والأيام الأخيرة مهددا بكيفية خاصة واستثنائية، بل أقول ان مستقبل القدس ومصير القدس ومن ثم ما يمثله بالنسبة للمسلمين من قيم دينية وقيم روحانية واعلام تاريخية أصيلة، أصبح فريسة وضحية مخطط صليبي ستراتيجي يستلزم منا قبل كل شيء أن نكون في مستوى المعركة، والمعركة ليست معركة حربية فقط، بل هي معركة ضد الأنانية والحساسيات والخلافات الثنائية، هي معركة نصر الاسلام بالفضيلة قبل السيف، معركة التحلي بأخلاق الاسلام من تسامح وتصالح وتعاضد وتضامن.

فإذن المعركة الأولى هي التي يجب أن نخوضها نحن فيما بيننا حتى نذلل العقبات وحتى نفتح الآفاق وحتى نجعل ممكنا ومحققا ما يعتبره عدونا مستحيلا، ومما لا شك فيه حضرات الأصدقاء أنكم لاحظتم وسمعتم وشاهدتم مثلما لاحظنا وسمعنا وشاهدنا في الأيام الأخيرة وقلوبنا متألمة وأفئدتنا جريحة ومكلومة، ما لحق القدس الشريف وإخواننا هناك من دوس للكرامة وعبث بالقيم الانسانية وتحد لحقوق الانسان، ومما لاشك فيه لاحظتم كذلك سكوت وسائل الاعلام الدولية عن هذه الفضائح ولمستم أنفسكم التقصير المغرض الذي كنا نشهده ونلمسه يوميا، وذلك لأن القضية تمر في وطن عربي وتهم ديانة تسمى الاسلام، فمن المقصر يا ترى؟ هل وسائل الاعلام الأجنبية التي لم تساعدنا كما كنا نود، أم نحن بعدم تحركنا، أو هما معا؟ عدم التحرك واستمرار الحرب الدينية الايديولوجية التي يتعرض لها العرب والمسلمون منذ قرون.

جاء حضرات الأصدقاء وقت الاختيار، وحينما أقول الاختيار لا أعني بهذا وذاك اختيار طريقة ستراتيجية أو اختيار مخطط دون مخطط، لا. وقت الاختيار أخطر من هذا كله، هل نحن مستعدون أن نختار بين الجد والهزل؟ هل نحن مستعدون للاختيار بين المسؤولية واللامسؤولية؟ وهل نحن مستعدون للالتزام أو عدم الالتزام؟

وهنا تعطينا السيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم فرض الله سبحانه وتعالى على أمته ليلة المعراج خمسين صلاة في اليوم، لقي سيدنا موسى عليه السلام، فقال له : بماذا أمرك ربك؟ قال : أمر أمتي بخمسين صلاة في اليوم والليلة، قال ارجع الى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، وصار النبي صلى الله عليه وسلم يرجع الى ربه وينصت الى موسى حتى اكتفى الله سبحانه وتعالى من المسلمين بخمس صلوات في اليوم، معنى هذا لا يطلب العالم منا ومن لجنتنا المعجزات، ولا ينتظر منا خوارق العادات، ولكن علينا أن نحقق لمن يساندنا ولمن وضع ثقته فينا، الحد الأدنى من الجد ومن المعقول، ومن الأخذ بالمسؤولية أخذا يكون في مستوى ما نحن مطوقون به، هو في آن واحد تراث ديني وتراث دنيوي، تراث ديني لأن القدس هي أولى القبلتين وثالث الحرمين.

ولا أعتقد أن هناك شخصا في لجنة القدس مستعد لأن يخون الأمانة الالهية بالنسبة للبقاع المقدسة، وهناك أمانة بشرية، لأن القدس يمكن أن أقول فيه انه كراس التاريخ، انه قاموس المدنيات، ذلك القاموس وذلك الكراس الذي وضعته الديانات الثلاث أمانة بيد المسلمين، علما بأن المسلمين لن يضيعوا الأمانة، بل انهم سيرعونها حق رعايتها، وأنهم سيتحملونها تحمل المسلم للأمانة الدينية والدنيوية، بحيث كما قلت لكم : عملنا هو قبل كل شيء عمل فضيلة بالنسبة للمجموعة الاسلامية كذلك.

وهنا أريد أن أتطرق الى نقطة تهمنا جميعا عاطفيا وسياسيا، ألا وهي أن نرى عضوين من الأسرة الاسلامية بل عضوين من لجنة القدس وهما العراق وايران يتطاحنان ويتقاتلان ويضيعان طاقاتهما البشرية والمادية في خلاف لا يمكننا أن نعتبره إلا كحلقة صغيرة بالنسبة لما ينتظرنا وينتظر مصير الأمة الاسلامية من عمل بناء في بناء الحضارة، وفي الأداء بالنصيب الأوفر في نشر الثقافة والعلم والوئام بين الدول وبين الشعوب، وهنا أقول إنه واجب التدخل للصلح بين العراق وايران هو فرض عين لا فرض كفاية، لأننا نجد في القرآن آيتين، الأولى : « وإن طائفتان من المومنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما »، والثانية : « إنما المؤمنون إخوة، فأصلحوا بين أخويكم »، فالنداء الالهي في القرآن لم يكن محصورا في الدول ولا في رؤساء الدول ولا في المنظمات الدولية، بل هو موجه الى كل مسلم مؤمن بالاسلام متشبث بإيمانه، فإذن هو فرض عين على كل مسلم من الأسرة الاسلامية التي تعد بالمليار اليوم.

وإذا كان هذا الفرض فرض عين على جميع المسلمين، فهو فرض عين من باب أولى وأحرى كما يقول الفقهاء، بالنسبة لفريقنا هذا ولأسرتنا هاته. لجنة القدس التي يجب النظر بعين الاعتبار الى ما قامت به لجنة الوفاق المنبثقة عن المؤتمر الاسلامي والتي يرأسها أخونا وصديقنا وشقيقنا الرئيس الحاج أحمد سيكوتوري والذي أضاع فيها من أوقاته الثمينة ما أضاع، على جمعيتنا هذه أن تأخذ بعين الاعتبار ما قامت به هذه اللجنة من المساعي الحميدة والمحمودة وأن تضم صوتها الى صوت المسلمين جميعا الممثلين فيها حتى نكون قد قمنا بالواجب، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

ولكن ليس ذلك الواجب الشفوي ولا البلاغي ولا العذري، بل ذلك الواجب المنبثق عن يقين تام بأن العراق وايران ضروريان للمجتمع الاسلامي، فموقعهما الجغرافي وثرواتهما البشرية والمعنوية، تجعل العراق وايران ضروريتين لابد لأسرتنا الاسلامية منهما، وحتى إذا تحيزت عاطفتنا الى هذا أو ذاك فهذا شيء طبيعي، أما عقلنا وتحليلنا للعاجل والآجل فيجب أن يأخذ بعين الاعتبار أن العراق وايران ضرورتان من الضروريات التاريخية، وأن العراق وايران إما عنصران من عناصر الشغب والهدم والفناء في تلك المنطقة، وإما عنصران من عناصر النماء والطمأنينة والراحة فيها.

وكذا ترون حضرات الرفاق، أن المسائل أو المشاكل الاسلامية هي كتلك السلسلة الذهبية حلقاتها بعضها في بعض أو بعضها مع بعض بنيان يشد بعضه بعضا، فلا يمكن أن نكون مسلمين في القدس وكافرين في الخصام العراقي الايراني، ولا يمكن أن نكون مسلمين في هذه القضية البشرية شرقا مثلا وفي الأخرى غربا، إذن مسؤوليتنا هي قبل كل شيء مسؤولية سياسية، وهذا ما فتحت به كلمتي، هي مسؤولية خُلق ومسؤولية فضيلة، على كل واحد منا وهو جالس أمام العلم الذي يمثل بلده وكيانه، ذلك العلم الذي من أجله يحيا المرء ويموت، وإن كانت هنا ـــ للأسف ـــ بعض الأعلام متغيبة، وتلك مسألة أخلاق وفضيلة يجب علينا قبل كل شيء أن لا نكذب على أنفسنا، وأن لا نكذب على من نمثله هنا، ففي مأساة العرب والشرق العربي، ومأساة فلسطين منذ 1948، لم يعط القادة العرب لمن كانوا يقودون إلا أكاذيب ومواعيد عرقوب، يجب أن نكون صرحاء مع أنفسنا.

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا ... وما مواعيدها إلا أباطيل

وها نحن اليوم نجني ثمار الديماغوجية، ونجني ما علمه عرقوب للبشرية بعد أن علمه أيام ابليس.

حضرات الرفاق، سأنهي كلمتي هذه حتى يمكننا أن ندخل في صلب جدول الأعمال الحافل كما تعلمون، وضمن جلستنا اليوم وجلسة السبت، سنحضر إن شاء الله يوم الجمعة وهو يوم جماعة المسلمين، اليوم المبارك، حفلا نعتبره كطالع خير بالنسبة لقضية القدس، ألا وهو توأمة مدينة القدس بمدينة فاس.

وأملي أن تتعدد هذه التوأمات كما تقرر، حتى لا نبقى 15 دولة هنا في لجنة القدس، بل ينضم إلينا ماديا وبشخصهم سكان جميع المدن والعواصم التي تتوأمت مع مدينة القدس، كما تقرر في الماضي وكما سنحرص عليه وكما نرجوا من أميننا العام السيد الحبيب الشطي أن يذكر به أكثر ما يمكن من العواصم أو المدن الكبرى الاسلامية في مشارق الأرض ومغاربها.

جعلنا الله سبحانه وتعالى في مستوى مسؤوليتنا، وجعلنا من الذين يظلهم بظله يوم لا ظل إلا ظله، من جملتهم رجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وافترقا عليه، فقد أحب بعضنا بعضا في الله واجتمعنا في القدس.

فأملنا أن نجتمع في الله ونفترق في الله حتى يظلنا سبحانه وتعالى تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الخميس 11 رجب 1402 ـــ 6 ماي 1982